سلسلة

بطولات النبي ﷺ

العصا والجائزة الكبرى

عبد المنعم الهاشمي

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ٥٤٥٧٧٦٩

دار الهمة
للتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي
القاهرة: ٥٤٦١٦٦٩ ت: ٥٢٢١٠٠٤

سلسلة

بطولات النبي ﷺ

الحصان والجائزة الكبرى

رقم الإيداع
٢٠٠٤/٥٠٧٨

الترقيم الدولي
977-331-271-2

محفوظة جميع الحقوق

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٩،١٧ شارع جليل الخياط - مصطفى كامل - اسكندرية
تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

دار الهمة

الحصان والجائزة الكبرى

أنا حصان عربي أصيل، تعرفني من كثرة الصهيل، فصوت الحصان يسمى الصهيل، صاحبي هو سراقة بن مالك، وهو من بني مدلج، وبنو مدلج هؤلاء أهل قيافة، والقيافة هي معرفة الآثار في الطريق، فكان إذا الناس أرادوا أن يقتفوا أثر هارب أو فار أو غير ذلك جاءوا برجل من بني مدلج أهل سراقة[1].

كنت أنا وصاحبي سراقة ننزل منطقة تسمى القديد بين مكة والمدينة وسكنَّا مكة فترة من الزمن.

علمت أن قريش قد جُنَّ جنونها حينما أحست أن محمداً ﷺ قد أفلت منها ليلة المؤامرة في مكة، وسمعت أنه كان في الغار مع صاحبه أبي بكر رضي الله عنه، وكان عبد الله

---

(١) انظر «طبقات ابن سعد»، جـ١، ص١٨١، ٢٣٢، «الرياض المستطابة» لليمني ص١١٨، «أسد الغابة».

ابن أبي بكر ينزل من عندهما في الفجر، فيصبح مع الناس في مكة كأنه كان نائمًا في مكة، فلا يسمع أمرًا تكن به قريش لرسول الله ﷺ ولأبيه أبي بكر حتَّى يأتيهما بخبر ذلك حتى يجيء الظلام[1].

علمت أن الكفار جاؤوا إلى دار أبي بكر، وقرعوا بابه، فخرجت إليهم أسماء بنت أبي بكر، فقالوا لها: أين أبوك؟ قالت: لا أدري والله أين أبي؟ فرفع أبو جهل يده، وكان أبو جهل رجلاً خبيثًا، فلطم خدها لطمة أطارت قرطها من أذنها[2].

لما سمعت هذا الخبر نفرت نفرة أطارت كل طعامي وصهلت ورفعت قدماي إليَّ تعبيرًا عن غضبي، فنحن معشر الخيل لا نحب الظلم، وعلمت أن عامر بن فهيرة خادم أبي بكر وراعي غنمه كان يرعى الغنم ويتبع بغنمه أثر عبد الله بن

---

(١) انظر «فتح الباري» (٧/ ٣٣٦)، و«صحيح البخاري» (جـ١ ـ ص٥٥٣، ٥٥٤).
(٢) «سيرة ابن هشام».

أبي بكر بعد ذهابه إلى مكانه، ليمحو أثر أقدامه، فلا يتبعه أحد إلى الغار.

ولمَّا رجع المطاردون من الغار، وهدأت المطاردة، وتوقفت أعمال البحث والتفتيش، بعد ثلاثة أيام من بدئها، تهيأ رسول الله ﷺ وصاحبه للخروج إلى المدينة، وكانا قد استأجرا عبد الله بن أريقط، وكان خبيرًا قديمًا بالأماكن والمنافذ، ماهرًا بالطريق، وكان على دين كفَّار قريش، وقد أمنه الرسول وأبو بكر على ذلك، وسلماه ناقتيهما ـ وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال بناقتيهما وجاء عبد الله بن أريقط بالناقتين، وحينئذ قال أبو بكر للنبي ﷺ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! خُذْ إحدى راحلتي هاتين، وقرب إليهما أفضلهما. فقال رسول الله ﷺ: «**بالثمن**».

وعلمت أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما جاءت بطعامهما، ونسيت أن تجعل لها رباطًا، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق الطعام،

فإذا ليس لها رباط، فشقت نطاقها اثنين، فعلقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر، فسمِّيت بذات النطاقين[1].

ثم ارتحل رسول الله ﷺ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، وارتحل معهما عامر بن فهيرة، وأخذ بهم الدليل: عبد الله ابن أريقط على طريق الساحل.

وأول ما سلك بهما بعد الخروج من الغار اتجه إلى الجنوب نحو اليمن، ثم اتجه غربًا نحو الساحل، حتى إذا وصل إلى طريق لهم يعرفه النَّاس، اتجه شمالاً على مقربة من البحر الأحمر، وسلك طريقًا لم يسلكه أحدٌ إلا نادرًا.

وقد سمعت أن أبا بكر تحدث عن طريقهما هذا فقال: أسرينا ليلتنا ومن الغد حتى جاء وقت الظهيرة، دخلا الطريق لا يمر منّه أحد، فرُفِعَتْ لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليها الشمس، فنزلنا عنده، وسوّيت للنبي ﷺ مكانًا بيدي، ينام عليه، وبسطت عليه فروة، وقلت: نم يا رسول

---

(١) «صحيح البخاري» (جـ١، ص٥٣٣، ص٥٥٥)، و«ابن هشام» (جـ، ص٤٨٦).

الله، وأنا أراقب لك ما حولك[1]، فنام، وخرجت أراقب ما حوله، فإذا براعي غنم مُقْبِلٌ بغنمه إلى الصخرة، يريد منها مثل الذي أردنا، فقلت له: لِمَنْ أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من أهل المدينة أو مكة، فقلت: أفي غنمك لبن؟

قال: نعم.

قلت: أفتحلب؟ قال: نعم.

فأخذ شاةً، فقلت: انفض الضرع من التراب، والشعر والقذى، فحلب في إناء لبنًا، ومعي إدواة حملتها للنبي ﷺ، يرتوي منها، يشرب ويتوضأ، فأتيت النبي ﷺ، فكرهت أن أوقظه، فوافقته حين استيقظ فصببت من الماء على اللبن حتى برد أسفله، فقلت: اشرب يا رسول الله! فشرب حتى رضيت، ثم قال: «ألم يأنِ الرَّحيل»، قلت: بلى: فارتحلنا[2].

---

(١) النص الأصل: «وأنا أنفض لك ما حولك» وغيَّرنا للمبسيط.

(٢) صحيح البخاري (جـ١، ص١٥١).

كنت في حظيرتي أثناء هذه الأحداث التي رواها الصديق أبو بكر رضي الله عنه، وكان فارسي سراقةُ بن مالك جالسًا في مجلس من مجالس بني مدلج وهم أهله وقومه، فجاء رجل وسراقة جالس، فقال: يا سراقة! إني رأيت ركبًا يمشي قريبًا من الساحل، أراه أنه محمد وصاحبه أبو بكر الصديق - سكت سراقة وفكر في الجائزة التي رصدتها قريش لمن يعثر على محمد وهذه الجائزة الثمينة قدرها مئة ناقة.

أجاب سراقة على الرجل: بأن الذي رآهم ليسوا هُمْ محمد وصاحبه، ولكنه أضمر في نفسه أنهم حقًا هم محمد وصاحبه.

انتظرت أن يجيء سراقة ليركبني ويطارد محمدًا، ولكن طال الوقت حتى مضت ساعة، وبعد هذا الوقت سمعته يقول لجاريته أخرجي فرسي من وراء الدار، خفيةً، فجاءت الجارية وأخذتني فمشيت خلفها خائفًا، لم أصهل لأني عرفت أنَّه سر لسراقة.

ركبني سراقة، وانطلقت أعدو كالريح، وصار سراقة يحثني على السرعة أكثر وأكثر، فطويت الأرض طيًا، وكنت أركض بسرعة البرق.

شعرت أنني اقتربت من محمد ﷺ وصاحبه أبي بكر رضي الله عنه لا أدري لماذا شعرت بالخوف وأنا أجري بسرعة وأقترب منهما بسرعة كبير، ولكن قدماي لم تعد قادرة على الجري كأن أحدًا يربطهما بوثاق.

وفجأة عثرت بسراقة، فوقعت على الأرض وقعة أزعجتني، ووقع سراقة على الأرض ثم قام.

علمت أن النبي ﷺ دعا أن تقف أرجلي وأقدامي عن الحركة، فوقفت ووقعت على الأرض، ولما وقعت كانت أقدامي كأنها مقيدة عن السير. سمعت سراقة يقول: يا محمد! ادع الله أن يطلق فرسي فاردَّ عنك، فقال النبي ﷺ: «اللهم إن كان صادقًا فأطلق له فرسه».

شعرت أنني أستطيع المشي والركض بعد هذا الدعاء وعلمت أن النبي ﷺ محميٌّ من ربه سبحانه ـ عزَّ وجلَّ ـ.

ركبني سراقة مرة أُخرى، وسمع قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت إلينا، وأبو بكر رضي الله عنه يكثر الالتفات، وفجأة وجدت قدمي تغوص في الرمال، حتى بلغت الركبتين صهلت بأعلى صوتي، استغثت بسراقة، أقدامي تغوص الآن في الرمال، أُوشِكُ عليَّ الهلاك.

نزل سراقة عني، ثم زجرني فنهضت بعد أن نزعت قدماي من الرمل بصعوبة شديدة، وقد شعرت بآلام كثيرة في مفصل قدماي.

ولما استويت قائمة وجدت أثر قدماي غبار ساطع في السماء مثل الدخان، ووجدت سراقة ينظر في رماحه، يريد أن يقرع هل يواصل المطاردة أم لا، ثم ناداهم فجأة ـ يطلب الأمان منهم، فوقفوا فركبني سراقة وتقدم إليهم حتى

جئناهم، نظرت إلى الرسول ﷺ مرة ثم نظرت في الأرض لا أستطيع أن أحد النظر في وجهه الكريم، صهلت أسبح بحمد الله وأصلي وأسلم على رسول الله ﷺ، ولكن دعوني أصف لكم رسول الله ﷺ لقد كان:

ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه «جميل الوجه»، حسن الخُلق، لم تعبه ضخامة البدن، وسيم قسيم حسن جميل، في عينيه سواد جميل، وفي شعر أجفانه طول، وفي صوته بحة وخشونة، طويل العنق شديد سواد الشعر، إذا صمت علاه الوقار، وإذا تكلم علاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنهم وأحلاهم من قريب، ربعة لا طويل ولا قصير، حلو الكلام والمنطق، كان غصنًا بين غصنين، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر أسرعوا إلى تنفيذ أمره»[1].

---

(١) من وصف أمِّ معبد للرسول ﷺ. انظر النص في «زاد المعاد» جـ٢، وانظر «صحيح البخاري» (جـ١، ص٥٥٤).

عـرف سراقـة أن النبي ﷺ سينتـصر على أعـدائه، وسيظهر أمره لما رآه من حبسي عن السير وتقييد قدمي كلما اقتـربنا من رسـول الله ﷺ، فقال للـرسول ﷺ: إن قـومك قد جـعلوا فيك الدية، وأخـبرهم أخـبار مـا تريده قريش منهم، مـن القبض عليهم وإيذائهـم لقاء مئـة ناقة، وعـرض سراقـة عليهم الطعـام والماء وما يحـتاجـون، فلم يسـألاه، ولم يخـذلاه، وقـال له الرسـول ﷺ: «اخفِ عَنَّا»، فسأله سراقة أن يكتب له كتـاب أمان، فأمر عامر بن فهيـرة فكتب له في رقعة كتاب أمـان، ثم مضى رسول الله ﷺ[1]، وقبل أن يركـبني سراقة لنـعود إلى مكة، هتف رسـول الله ﷺ قـائلاً: «كـيف بِكَ إذا لبـست سِـواري كِسْرى»؟!

---

(١) انظر «صحيح البخاري» (جـ١، ص٥٥٤).

رجعنا إلى مكة فوجدنا الناس يبحثون عن رسول الله ﷺ وصاحبه، فلم يفصح سراقة عن شيء، وصهلت فرحًا، وعلمت أن سراقة كتم السر وحافظ على العهد الأمان.

وظل سراقة يحفظ الكتاب الذي أعطاه له النبي ﷺ ويحافظ عليه، فلما فتح الله تعالى مكة، ركبني وأسرعت كالبرق أطوي الطريق طيًا حتى لقينا رسول الله ﷺ بالطريق، فدخل بي في خيل الأنصار، صهلت تحية لخيل المسلمين، فصهلوا بأحسن منها واقتربت بسراقة من ناقة رسول الله «القصواء» صهلت تحيةً للناقة فرغت مرَحِّبة بي وبمن أحمل على ظهري، وسمعت سراقة يقول يا رسول الله أنا سراقة بن مالك بن جُعْشَم، هذا كتابك لي يوم الهجرة، فقال رسول الله ﷺ: «هذا يومُ وفاء وبر!! أدْنُه».

اقتربت أيضًا من رسول الله ﷺ وسمعت سراقة يردد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنكَ رسول الله.

وسرت في الموكب العظيم، وأنا أتمايل من شدة الفرحة، وقد ارتفعت رأس سراقة عالية مؤمنة، وعلت أصوات المسلمين بالتكبير وكنا نحن معشر خيل المسلمين نصهل صهيل النصر المبين، وسمعنا بالقرب من رسول الله ﷺ يقول: «قل جاء الحق وزهقَ الباطل إن الباطل كان زهوقا».

وتردد في أرجاء مكة، وفوق جبالها أوديتها كلمات عظيمة من القرآن الكريم تقول: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (سورة الفتح: ١-٤).

مرت سنوات طويلة وأصبحت حصانًا عجوزًا، وفتح المسلمون بلاد فارس، وجاء إلى عمر بن الخطاب سواري كسرى ومنطقه (حزامه) وتاجه، دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه سراقة بن مالك رضي الله عنه فألبسه سواري كسرى قائلاً له: ارفع يديك، وقل: الله أكبر!! الحمد لله الذي سلبها كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقة الأعرابي.

فردد سراقة قائلاً: الله أكبر، الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقة الأعرابي!!

هذه قصتي مع سراقة بن مالك رضي الله عنه وأرضاه.

نشاطات تعليمية

١ ـ من هو سراقة بن مالك؟

.....

٢ ـ هل لحق بالرسول في الطريق؟

.....

٣ ـ وماذا كان بينه وبين رسول الله ﷺ؟

.....

٤ ـ هل أوفى سراقة بعهده مع النبي ﷺ؟

.....